القبيلة ودورها السياسي في ليبيا

أ.د منى حسين عبيد
مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية/جامعة بغداد
Mona.obaid@cis.uobaghdad.edu.iq

المستخلص:
تعد ليبيا واحدة من الدول التي تتميز بالتنوع القبلي، اذ تمارس دورًا فاعلًا في العملية السياسية وفي صنع القرار السياسي؛ وذلك كونها أي القبيلة قادرة على احتضان الأفراد والتحكم في مساراتهم السياسية، ولعل هذا ما جعلها تحظى بالاهتمام من قبل النظام الملكي الذي اعتمد كثيرًا على القبيلة في إدارة شؤون الدولة ومنح العديد منهم الكثير من الامتيازات والمناصب العليا في الدولة. إلا أن توظيفها السلبي في عهد معمر القذافي كأساس لاستمرار الحكم وكسب الولاء للقذافي كان سببا في عدم تكوين دولة مؤسساتية، حتى أن تأثير القبيلة انعكس سلبًا بعد ثورة شباط 2011، على الوضع السياسي في ليبيا، إذ أدت الصراعات القبلية إلى حدوث الانقسامات بين القبائل الليبية وتحديدا بين قبائل الشرق والغرب مما كان لذلك تأثيره في تحديد شكل ومسار الدولة الليبية.

الكلمات المفتاحية: القبيلة، التنوع القبلي، النظام الملكي، الانتفاضة، العملية السياسية.

المقدمة: introduction

كانت القبيلة وما زالت تمثل الكيان الجامع لكل تجمع بشري متجانس، فقد مارست القبيلة دور فعال في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقد كان للقبيلة مكانتها في المجتمعات العربية فهي تتفرع إلى بطون وأفخاذ، وكان لاتساع نطاق تأثيرها دور في أن يصبح لها دورها المؤثر سواء من حيث قيادة أفراد القبيلة وتوفير الحماية لهم، أو من خلال سن القوانين وتشريعها بالشكل الذي تكون فيه محط احترام من قبل أفراد القبيلة نفسها. وبالرغم من أن القبيلة قد اختفت في بعض دول العالم إلا أنها مازالت تؤدي دوراً مؤثراً في العديد من المجتمعات البدوية والفقيرة ولاسيما تلك الموجودة في أفريقيا، إذ أن لها دور كبير في صنع القرار السياسي. وتعد ليبيا واحدة من اهم الدول التي أدت فيها القبيلة دور فاعل فالمعروف أن المجتمع الليبي مجتمع قبلي رغم أن معظم سكانه يعيشون في المدن إلا أن القبيلة فيه بارزة وبشكل كبير ولاسيما في العملية السياسية، فقد كان الدور السياسي للقبيلة واضح منذ فترة الاستعمار إذ قادت القبيلة الكفاح المسلح ضد الاستعمار الإيطالي، وتعزز دورها خلال العهد الملكي الذي قدم الدعم للقبائل ومنح الكثير منها مناصب عليا في الدولة. وفي عهد الرئيس معمر القذافي نجد أن دور القبيلة اخذ بالتراجع وذلك بسبب ولاء العديد منها للنظام الملكي، ولكن مع مرور الوقت عمل الرئيس الليبي معمر القذافي على منح القبيلة مكانة مهمة في المجتمع الليبي بل وفي الحياة السياسية بالشكل الذي أخذت تلك القبائل تؤثر وبشكل كبير في مجريات الشأن الليبي.

أهمية البحث: تنبع أهمية الدراسة من أهمية الدور الذي تقوم به القبيلة في ليبيا وتأثيرها في العملية السياسية، إذ تم التركيز على دراسة الواقع القبلي في ليبيا، وطبيعة علاقتها بالأنظمة السياسية التي تعاقبت على الحكم في ليبيا.

هدف البحث: تهدف الدراسة بيان مدى تأثير القبيلة في الحياة السياسة الليبية وكيفية تعامل النظام الليبي معها.

إشكالية البحث: تكمن إشكالية البحث في أن ليبيا شهدت بعد سقوط نظام معمر القذافي حالة من التصعيد والحرب بين القبائل الليبية بسبب غياب المؤسسة السياسية وفقدان الأمن في الداخل الليبي.

فرضية البحث: وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن العامل القبلي له تأثير كبير في المجتمع، ولا يمكن لاي سلطة سياسية تتولى الحكم في ليبيا أن تتجاهل دور القبيلة في العملية السياسية، أي أن هناك علاقة تفاعلية بين القبيلة وأداء النظام السياسي في ليبيا.

منهجية البحث: لبيان دور القبيلة السياسي في ليبيا فقد تم الاعتماد على عدة مناهج منها المنهج التاريخي للوقوف على دورها التاريخي في مقاومة الاحتلال الإيطالي فضلا عن المنهج الوصفي وذلك لوصف طبيعة علاقتها بالأنظمة السياسية في ليبيا إلى جانب المنهج المقارن وذلك لمقارنة السياسة التي اعتمدتها الأنظمة السياسية تجاه القبيلة.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي

المطلب الأول: الإطار المفاهيمي للقبيلة

The conceptual framework of the tribe

القبيلة هي رابط اجتماعي تقوم أساساً على رابطة دم حقيقية أو رابطة مكتسبة في الغالب ينتسب معظم أفراد القبيلة إلى جد واحد لكن ذلك لا يمنع من انتماء أخرين إلى القبيلة لاعتبارات أخرى تم التعرف عليها من قبل ما فسره ابن خلدون بقوله" اعلم انه من البين ان بعض من أهل الأنساب يسقط إلى أهل نسب أخر بقرابه الدم أو حلف أو ولاء أو الفرار من قومه بجناية أصابها فيدعى بنسب هؤلاء ويعد منهم في ثمراته لأنه لا معنى لكونه من هؤلاء أو هؤلاء إلا جريان أحكامهم وأحوالهم عليه وكأنه التحم بهم ثم انه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان" ويذهب إلى أهل العلم فيخفى على الأكثر ولم يتغير المفهوم الخلدوني للقبيلة رغم مرور عدة قرون فالقبيلة في ابسط تعريف لتكوينها هي مجموعه من العشائر أو الأفخاذ أو اللحمات (كما تسمى في ليبيا) وتوجد في ليبيا لدى معظم القبائل أفخاذ أو لحمات أو عائلات لا ترتبط بالقبيلة برابطه الدم وإنما انظموا لها لأسباب أخرى كالتي ذكرها ابن خلدون غير انه مع مرور الزمن والتزاوج والتفاعل اصبحوا جزءا من كيان القبيلة[1]. وجهت العديد من الانتقادات لهذا التعريف كونه تجاهل البعد السلالي للقبيلة الذي يبعث نوع من الإحساس السلالي العرقي الذي يزيد من التلاحم والانسجام بين مكوناتها كون الجميع ينحدرون من سلف واحد وتربط بينهم أواصر الدم والقربى. والواقع إن البعدين السلالي والاجتماعي يتحدان لمفهوم القبيلة والانتماء القبلي، فالقبيلة تشتق من التقابل والانتماء والتجاوز في بقعه أرضية مشتركة متقاربة، فالعشيرة مشتقة من لفظ المعاشرة أو الاختلاط الحميم والالتصاق والتماسك[2].وشاع استخدام مفهوم القبيلة في أبحاث الأنثروبولوجيا على وجه التحديد، وهي شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي التقليدي على غرار الأسرة والعشيرة يتميز أفراد القبيلة بعدد من الملامح والخصائص المشتركة تأتي في مقدمتها صله القرابة أو الرابطة الدموية فضلا عن اللغة والدين وعناصر أخرى والقبيلة انتماء يحمله الأفراد لها يجد من خلالها انتمائهم الاجتماعي والثقافي والسياسي والعصبية تمثل احد سمات التلاحم القبلي كما يؤكد البعض

1 - البشير علي الكوت، الدور السياسي للقبيلة في ليبيا، مجلة العلوم القانونية والسياسية، الجزائر، العدد17، 2018، ص94-95.

2- بلال اوصيف، الصراع القبلي وإشكالية بناء الدولة في ليبيا بعد 2011، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة محمد

الأخر منهم على أن القبيلة تعني ذلك التنظيم الاجتماعي القائم على القرابة والعصبية لكن هذه الرابطة بين أعضاء المجموعة القبلية العربية لم تحدد بالقرابة الدموية فقط بل كثيرا ما حددتها" الرابطة السيكولوجية" وفقا لتعبير ابن خلدون وتحكم فيها "التضامن الألي" كما صوره الفرنسي دوركايم[1]. ويتعداه إلى المجال الجغرافي و الثقافي (اللغوي خاصه) كروابط تجعل من القبيلة وحدة متماسكة وقد يأخذ الرابط القبلي شكلا سياسيا عندما تكون في القبيلة سلطة مركزية تمارس سلطات سياسية، كما كان عليه الحال عند الكثير من القبائل الأفريقية جنوب الصحراء قبل الاحتلال الأوروبي للقارة، فقد تمتع رئيس القبيلة أو كبيرها بسلطات سياسية الطابع في مرحله ما قبل الدولة أو شبه الدولة ومن هذه السلطات إعلان الحرب واستقبال الضيوف الأجانب و جبايه الضرائب والقضاء والتصرف في الأراضي وغيرها، كما كان للقبيلة مؤسسات سياسية من قبيل مجالس المستشارين أو الحكماء(كبار السن) ومجالس البلاط (أقارب الحكام) والتي لها دور سياسي كونها تشكل ضوابط لممارسة السلطة وتقديم الاستشارات لرئيس القبيلة[2]. القبيلة ليست اختيارا بقدر ما هي نتاج بيئة بدوية بدائية تقوم فيها العلاقات على الأبوية والرعوية. فهي الحاضنة في زمن لم تعرف أو لم تمارس فيه القوانين والمؤسسات التي يمكن أن توفر للأفراد الرعاية وتحمي مصالحهم بل كانت الأعراف القبلية هي المهيمنة وذلك أيضا في غياب العلاقات المهنية التي يمكن أن تكون بديلا للقبيلة ورغم التحول الرسمي نحو الدولة والتحديث الذي شهدته الكثير من المجتمعات القبلية ومنها ليبيا، إلا أن القبلية كسلوك وممارسة مازالت تسم سلوك الأفراد بما فيها السلوك والممارسة السياسية [3].

أولاً: خارطة التوزيع القبلي في ليبيا

Map of tribal distribution in Libya

تضم ليبيا العشرات من القبائل الليبية التي تتوحد في اللغة العربية والديانة الإسلامية بالأغلبية المطلقة لكنها تتمايز وتختلف من حيث العرق والأصل من خلال الاختلاف في رابطه الدم وهو ما انعكس على طبيعة المستوى المعيشي والرقعة الجغرافية فضلا عن الظروف التاريخية التي جعلت قبيلة ترتكز شرقا دون التوجه غربا وهي المعادلة التي أفرزت التنوع العرقي (الأصل) وكرست التوزيع والانتشار القبلي في ليبيا كما تحكم الموارد الاقتصادية أيضاً في الإمدادات الجغرافية بين القرب والبعد بين القبائل الليبية [4].

ويقوم المجتمع الليبي على المركب القبلي ولا تقوم القبيلة فيه على رابطة الدم فحسب بل هي مظلة اجتماعية يتعايش تحتها مختلف الأعراق والجماعات وقد تضم القبيلة الواحدة من أصل أمازيغي عربي أو تركي أو أفريقي حيث توفر الأمن والحماية لأفرادها وتضمن فرص العيش الكريم لهم ويعد عنصر القبيلة مكونا أساسياً للمجتمع في ليبيا وعاملاً مهما في أركان النظام الليبي السابق (معمر القذافي) الذي يقوم على التحالفات القبلية اكثر من التحالفات السياسية [5].

1- بوضياف، كلية الحقوق والعلوم السياسية،2021، ص47.
2- المصدر نفسه، ص47-48.
3- البشير علي الكوت، المصدر السابق، ص95.
4- المصدر نفسه، ص95.
5- بلال اوصيف، المصدر السابق، ص75.
1-المصدر نفسه، ص76.

تعد ليبيا أكثر البلدان التي تتواجد فيها القبائل إذ يصل عددها إلى 500 قبيلة وتتوزع القبائل في ليبيا في ثلاث مناطق وهي كالآتي [1]: -

أ- القبائل الليبية في المنطقة الغربية

A- Libyan tribes in the western region

تعد المنطقة الغربية في ليبيا من أكثر المناطق التي تضم القبائل الليبية حيث تقع العاصمة طرابلس وتتوزع القبائل الليبية فيها كالآتي: -

- قبيلة ترهونه: من اهم وأكبر القبائل في المنطقة الغربية الليبية والتي تنقسم إلى 63 قبيلة فرعية وتتواجد في العاصمة طرابلس وهي تشكل حوالي ثلث سكان ليبيا.

- قبيلة ورفلة من القبائل الليبية الكبرى والتي يتجاوز عدد أبناء القبيلة إلى مليون ليبي وهم يشكلون سدس سكان ليبيا

-هذا إلى جانب عدد كبير من القبائل المختلفة وذلك مثل قبائل سرت وجادو ويفرن ونالوت وقبائل الرجبان والزنتان وقبيلة المشاشية والاصابع والعربان وولاد بريك والقوا ليش وقبائل زليتن، ومن القبائل الأخرى في المنطقة الليبية هي قبائل الصيعان والنوايل والنواحي الاربع والعجيلات والزاوية.

ب- القبائل الليبية في المنطقة الشرقية

B- Libyan tribes in the eastern region

- أما عن القبائل التي تقطن في الشرق الليبي ومن بينها قبيلة برقة وهي من أشهر واهم القبائل التي تدعم النظام والحكومة والجيش في ليبيا.

-وتنقسم القبائل الليبية بالمنطقة الشرقية إلى أربعة أقسام وهم قبائل الجبارنة قبائل الحرابى قبائل المرابطين قبائل لحضور.

ج-القبائل الليبية في المنطقة الجنوبية

C-Libyan tribes in the southern region

- يقطن عدد كبير من القبائل في المنطقة الجنوبية الليبية ومن أشهر تلك القبائل قبيلة فزان وهي من أكبر القبائل الليبية في المنطقة

-ويتواجد عدد من القبائل الأخرى مثال قبائل أولاد سليمان والمقارحة وتحضيرات والتبوا والحساونة وقبائل وادي الحياة

-وكذلك قبيلة أولاد سليمان وهي واحده من اهم وأشهر قبائل الجنوب المتواجدة في مدينة سبها

-وكذلك قبيلة الطوارق وهي تتواجد في الصحراء الكبرى والتي ينتمي إليها القائد المسلم فاتح الأندلس طارق بن زياد واغلب من ينتمون إلى قبيلة الطوارق من الأمازيغية لذلك لقيت القبيلة تهميش كبير من الحكومة الليبية وليس لهم الحق في الهوية الوطنية أو امتلاك جواز السفر [2].

2- خارطة توزيع القبائل في ليبيا، نقلاً عن شبكة الإنترنت الموقع:- https://www.fekera.com/

3- المصدر نفسه، ص1.

خارطة توزيع القبائل الليبية نقلا عن الموقع:https://www.fekera.com/

المطلب الثاني: دور القبيلة في العهدين العثماني والإيطالي

The role of the tribe in the Ottoman and Italian eras

أدت القبيلة دوراً محوريا خلال مختلف العهود التي مرت في المجتمع الليبي عندما كانت ليبيا ضمن أقاليم الإمبراطورية العثمانية فقد اضطرت الإدارة المركزية في العاصمة إلى التعاون مع القبيلة لتتمكن من حكم البلاد فقدمت لبعض القبائل التي أرادت الاستعانة بها عددا من المزايا مثل تعيين المشايخ في احدى الوظائف الإدارية التي كانت معروفة في حينه (متصرف، قائممقام، ومدير) وولت بعضهم مهمات جمع الضرائب وأعفت بعض القبائل من دفع الضرائب، وكانت الضرائب هي المورد الرئيس لتدبير شؤون الإدارة المحلية وترسل نسبه منها إلى عاصمة الإمبراطورية في إسطنبول. وفي الحالات التي كان الجيش العثماني يضطر فيها إلى شن حرب على قبيلة تحدت السلطة المركزية كأن تمتنع عن دفع الضرائب مثلا. كان يطلب من القبائل المتعاونة مع السلطة المركزية مساعدتها في الحرب، ولم تثر تلك الإدارة عداوات جديدة وإنما استغلت العداوات التقليدية القديمة بين القبائل فكانت تختار جانبا وتنحاز إليه [1]. كانت بعض القبائل الليبية القوية تتمتع بشهرة تاريخية بالمحافظة على الاستقلال في مناطقها وفرض سلطتها على القبائل الضعيفة ورفضها الخضوع لسلطة مركزية وهذه القبائل إما أنها تستقر في مناطق بعيدة من العاصمة وإما إنها تتحرك في محيط واسع. واشتهرت قبائل عدة بمعاداتها الحكم العثماني، ودخلت معه في ثورات وحروب دامت سنوات عدة ولا يعني هذا أن النشاط العسكري الذي تقوم به قبائل كهذه موجه نحو الجيش العثماني، بل نحو قبائل أخرى بسبب علاقتها بالسلطة المركزية، ويأمر شيخ القبيلة اتباعه بالإغارة على قبيلة مستقرة في

1-مصطفى عمر التير، الثورة الليبية: مساهمة في تحليل جذور الصراع وتداعياته، قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2020 ، ص42

واحه أو بلده للانتقام بسبب حادث معين، أو قد لا يسمح لقبيلته بمشاركه قبائل أخرى في صد هجوم خارجي، كما حدث خلال الحرب الليبية الإيطالية، بحجه إن الإيطاليين لم يصلوا بعد إلى مناطق نفوذه، فالوطن عند شيخ القبيلة هذا يعني منطقة جغرافية يتمتع فيها بنفوذ[1]. خطط الإيطاليون لاحتلال ليبيا ومهدوا لذلك بسلسلة من الإجراءات لكن الهجوم العسكري بدا في تشرين الأول 1911 عندما حاصرت قطع الأسطول الإيطالي المدن الساحلية الرئيسة، وخلال الأسبوعين الأولين تمكنت جيوش إيطاليا من الحصول على موطئ قدم في اغلبيه المدن الساحلية المهمة. في الواقع لم تنعم إيطاليا بفترة استقرار طويلة في ليبيا لاسيما إن أجزاء من البلاد لم تنته فيها المقاومة الوطنية إلا في بداية ثلاثينيات القرن العشرين لذلك لم تترك أثراً كبيرا في البناء الاجتماعي الليبي. كما إن التأثير الثقافي كان محدودا هو الأخر، وان ظهرت أثاره بصورة أوضح في مدينة طرابلس والمراكز الحضارية في الغرب الليبي لذلك عندما بدأت الإدارتان العسكريتان تسيير شؤون البلاد، وجدتا أن لشيوخ القبائل التقليديين مكانة اجتماعية، فتعاونت معهم وأقحمتهم في لجانها الاستشارية، للمحافظة على استقرار السكان في مناطقهم، ولتطبيق القانون والمحافظة على السلم الاجتماعي، اضطر كثير من الليبيين، لاسيما القبائل التي لم تهادن الإيطاليين ولم تقبل بالعيش في ظل الاستعمار إلى الهجرة في اتجاه البلدان المجاورة، واستمرت إيطاليا في بناء استعمار استيطاني، باعتبار إن بقائها على الأراضي الليبية سيستمر إلى الأبد، وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية، شكل الليبيون في المهجر فرقا عسكرية ساعد جيوش الحلفاء الآتية من مصر، وكذلك التي دخلت البلاد من الجنوب[2]، وفي 24 كانون الأول 1951 أصبحت ليبيا دولة مستقلة باسم المملكة الليبية المتحدة[3].

المبحث الثاني: دور القبيلة ما بعد استقلال ليبيا 1951.

المطلب الأول: دور القبيلة في العهد الملكي

The role of the tribe in the royal era

التكوين القبلي يعد من أبرز العوامل التي أثرت في تشكيل الحياة السياسية في ليبيا على مر تاريخها. فقد قامت القبائل وزعماؤها بقيادة الكفاح المسلح ضد المستعمر الإيطالي ما بين عامي 1911 و1943، وعندما نجحت المقاومة في إجبار المستعمر الإيطالي على الخروج قامت عائلة الأدريسي بتمثيل ليبيا في اجتماعات الأمم المتحدة بداية من العام 1949. و قام رؤساء القبائل بعقد عدة اجتماعات كممثلين للشعب في بني غازي للتوصل إلى دستور للبلاد يؤطر لأول ملكية دستورية [4].رغم أن ليبيا استقلت عام 1951 كدولة دستورية [5]على أسس دستور المملكة الليبية الصادر في 7 تشرين الأول 1951 إلا أن

1-المصدر نفسه،43.

2- المصدر نفسه، ص46.

3- عادل عبد الحفيظ كندير، العملية السياسية في ليبيا في ضوء قرارات مجلس الأمن، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 511، 2021، ص 37.

4- تأثير القبلية على العملية السياسية في ليبيا: دراسة حالة لقبل وبعد ثورة فبراير 2011 ، نقلا عن شبكة الإنترنت الموقع: -https://www.afrigatenews.net/article

1-حصلت ليبيا على الاستقلال بعد مرحلة احتلال عرفت بشراسة المقاومة مع المناضل (عمر المختار)، وفظاعة انتهاكات المستعمر الإيطالي، انتتجت دولة استقلال ذات نظام ملكي (الملكية السنوسية) مفككة بين ثلاث ولايات كبرى (طرابلس، فزان، برقة)، لم تتمكن إلا في العام 1964 من التوحد وتعديل الدستور، للمزيد ينظر سهام الدريسي، مأزق الانتقال السياسي في ليبيا، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات،2018، ص10.

العامل القبلي كان حاضر بشكل مباشر وغير مباشر في تسيير شؤون الدولة ومؤسساتها، فقد أعطى الدستور للملك سلطة تعيين كل أعضاء مجلس الشيوخ البالغ عددهم 24ً عضواً (ثمانية أعضاء عن كل إقليم من أقاليم ليبيا الثالثة)، ومن خلال هذه السلطة أمكن للملك أن يراعي الطابع القبلي والجهوي للمجتمع الليبي، إذ يقوم باختيار أعضاء المجلس بناء على اعتبارات قبلية، وغالبا ما يقع الاختيار على أشخاص ذوي مكانة اجتماعية متميزة بين قبائلهم، وذلك لإرضاء القبائلً وخاصة الكبيرة بوجود ممثلين لهم في مؤسسات الدولة، في المقابل تم حظر تشكيل الأحزاب[1]. من ناحية أخرى شكلت القبيلة خلال فترة الحكم الملكي أصغر وحدة إدارية في إدارة الدولة، وأدى ظهور النفط في ليبيا وتصديره بكميات تجارية منذ مطلع ستينيات القرن الماضي إلى إحداث تغييرات كثيرة في أنماط الحياة والعلاقة بين النظام السياسي والقبيلة، فقد أصبح للنظام السياسي قدرة مادية توزيعية أكثر من ذي قبل، ولعل ذلك كان أحد الأسباب التي أدت إلى إلغاء النظام الفيدرالي في ليبيا بموجب التعديل الدستوري الذي تم عام1963 فكان التوجه نحو سلطة مركزية بغرض السيطرة على العائدات المالية الجديدة وإنفاقها بشكل مركزي، وساعد ظهور النفط على فرض التواصل بين أقاليمً ليبيا الثلاث المتباعدة (طرابلس وبرقة وفزان)، فتأثير العامل الاقتصادي كان كافيا لأحداث تغييرات سياسية واجتماعية، فقد تراجع التأثير القبلي لصالح السلطة المدنية المركزية، ولكن لا يمكن الزعم بنهاية هذا التأثير بالكامل. ولقد ارتبط تصدير النفط بكميات تجارية في ليبيا منذ العام 1963 ببرامج للتنمية طالت الكثير من القطاعات مثل التعليم والصحة والإسكان، ومهما يكن من تأثير لهذه البرامج التنموية [2]، إلا أن البلاد شهدت انقلاب عسكري قادة معمر القذافي من أيلول 1969 حينما كان الملك إدريس السنوسي في اليونان ومنها غادر إلى مصر وعاش لاجئا سياسيا في عهد الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر [3].

المطلب الثاني: دور القبيلة في عهد الرئيس معمر القذافي

The role of the tribe during the era of President Muammar to **AL- Gathafi**

ومع استلام القذافي الحكم على اثر انقلاب عام 1969 وإعلان الجمهورية بدلا عن الملكية حاول أن يكون في بداية حكمة إصلاحياً، وقد رفع شعارات رافضة ومعادية للقبيلة وقد عدها وقتئذ بحسب قوله(القوات الرجعية) لكن الواقع أن العامل القبلي لم ينتهي تأثيره على العملية السياسية، أي أن نظام القذافي كان مستندا على القبيلة في مجال عمله من خلال تقسيم العمل السياسي وتوزيع الأدوار والمهام وهذا الحال انتج بان تكون الحياة السياسية، تعاني من فراغ دستوري في تطبيق دولة المؤسسات، وانعدام القدرة على تكوين الأحزاب والنقابات، بسبب الاعتماد على القبلية وحدها بالمظلة الوطنية الرئيسة، واحيانا المنفردة التي يستطيع من خلالها المواطنون ممارسة أوجه النشاط العام بصورة شبه مستقلة وهو الأمر الذي أوجد قيادات قبلية اجتماعية تعمل على توفير الحماية وتحصيل الحقوق والوظائف في دوائر الدولة كلا حسب قربه وولائه للنظام الحاكم [4].

2- البشير علي الكوت، المصدر السابق، ص106.

المصدر نفسه، ص106-107.

3- إيناس مرشد، رسائل عمر المختار وإدريس السنوسي: سنوات اللجوء والمقاومة، القاهرة، كنور للنشر والتوزيع،2020، ص145

1-ناظم نواف إبراهيم، التفاعلات القبلية وأثرها في الحياة السياسية الليبية قبل وبعد 2011، المجلة السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، العدد45، 2020، ص63.

وضمن سعي القذافي الدائم لتوظيف القبيلة في الشأن اليومي لإدارة البلاد، قرر توسيع مجال المسؤولية الجماعية للقبيلة، إذ تتجاوز المجالات التقليدية التي اعتادت الاهتمام بها لتصل إلى مجال الأجهزة الأمنية والقضائية، فطلب أولا من كل قبيلة أن توقع وثيقة شرف تتعهد بموجبها تشديد المراقبة على أبناء القبيلة بهدف منعهم من الإنحراف، وأنحصر الانحراف بالنشاطات السياسية المعارضة لسياسته، سواء وُجد المعارض في الداخل أوفى في الخارج .وبعبارة أخرى، تتولى القبيلة المهمات نفسها الموكلة إلى جهازي الأمن الداخلي والخارجي .ليس هذا فحسب، بل تُضاف إليها مهمات تقع في مجال وزارة العدل ممثلة في محاكمة المتهم بالأسلوب التقليدي وتنفيذ العقوبة المقررة .وفي حالة عدم تنفيذ القبيلة للمهمة، فإن العقاب سيكون جماعيا، وستتحمّله القبيلة بجميع أفرادها [1].

وفي العام 1975 رجع الرئيس القذافي إلى القبيلة بقوة تمثلت في اللقب، إذ أضاف لقب القذافي، وكذلك فعل بعض المحيطين به من قبيلة القذاذفة .قد يرجع السبب في ذلك التغيير الجذري إلى المحاولة الانقلابية التي شارك فيها أربعة من أعضاء مجلس قيادة الثورة تبنّى القذافي برنامجًا جديدًا توجه نحو تعزيز مكانة قبيلته من طريق تقوية علاقاتها بقبائل أخرى، موظفا الأساليب التقليدية نفسها التي عرفتها القبائل الليبية منذ زمن بعيد .ولأن البرنامج كان تحت رعايته خصصت وسائل الإعلام المحلية مساحات كبيرة لتسليط الضوء على النشاطات التي قام بها القذافي، ولفتت الأضواء الإعلامية التي سُلّطت على ذلك البرنامج انتباه الليبيين فتسابقوا نحو التعبير عن انتماءاتهم القبلية بمختلف الوسائل . فبعد أن كان الولاء القبلي يُحتفظ به ضمن المسكوت عنه من الموجودات، أصبح يُعبَّر عنه بطرائق تجعل أضواء برامج الإذاعة المرئية تنجذب نحوه؛ فخُصصت ساحات في المدن لشباب كل قبيلة يبرز فيها اسمها بوضوح، كما نُظمت نشاطات اجتماعية ورياضية باسم القبيلة وتحت رعايتها .وفي مجال العمل، يتجلّى الولاء القبلي بوضوح من دون خوف أو وجل .وإذا وجد كثيرون في القبيلة فوائد مادية ونفسية واجتماعية، فإنها في المقابل تضع على الفرد ضغوطا منوّعة نتيجة مطالبته بمساعدة أخيه، ظالماً أو مظلومًا .ولتطبيق هذا المبدأ، يخترق الولاء القبلي حدود القانون، فيتدخل أعضاء القبيلة للإفراج عن محكوم بالسجن مثلًا، أو حتى إسقاط عقوبة الإعدام عمّن صدر عليه الحكم، وهو في انتظار التنفيذ كما كانت القبيلة تتدخل لتسوية خلافات وحلّ مشكلات بين مدن أو قبائل متنازعة وحتى متحاربة، تعجز الحكومة المركزية عن معالجتها [2].

وفقا لذلك ازدهر دور القبيلة طول فترة حكم القذافي وتحت هيمنة الأخير .وعليه فان دور القبيلة في مرحلة حكم القذافي مر بمرحلتين: الأولى – مرحلة التذويب والتهميش، والتي بدلت مع بداية حكمه والتي عمد فيها إلى تحجيم دور القبائل. والثانية: كانت في مرحلة الاحتواء والتوظيف، أي استغلال القبيلة من خلال جعلها تتحكم في عموم الحياة السياسية [3]. وقد مارس الرئيس الراحل معمر القذافي خلال مدة حكمه الممتدة ما بين العامي (1969 -2011) دوراً كبيراً على وتر استثمار (القبيلة) لتثبيت أركان نظامه واستمرار حكمه لأطول فترة ممكنة من خلال تقريب بعض القبائل ذات الثقل في المجتمع من حاشيته، وكان يغدق أو يبذخ عليهم الهدايا والمزايا، لضمان ولائهم الخاص لحكمه، من

2- مصطفى عمر التير، المصدر السابق، ص52-53

3-المصدر نفسه، ص55

1-ناظم نواف إبراهيم، المصدر السابق، ص2.

اجل فرض السيطرة على بلاده وقبائلها المتعددة، وهذا ما حصل لمدة (أربعة) عقود من التحكم المفرط، بجميع المحيطين به، هذا السلوك أو التصرف من لدن القذافي قد افرز إلى اعتماد الليبيين على قبائلهم، لإيجاد الحماية وتحصيل الحقوق من وظائف في أجهزة الدولة، كل بحسب قوته وعلاقاته القبلية أو درجة قربه، وولائه لنظام الحكم في وقتها. الملاحظ أن القذافي كان يتعامل مع القبائل بخطين، **الأول**: كان يتظاهر بالإطاحة بسلطة القبائل. أما **الثاني**: وهو ما يشير إليه الواقع الفعلي، والقائم على تعزيز مكانة ودور القبائل في ليبيا. وعليه فقد حظيت القبائل في عهد القذافي بمكانة مهمة من خلال توظيفها في حماية نظامه السياسي وقتها، بشكل يشبه تقريبا نظام (المحاصصة) القائم على الأمر والطاعة، لرأس النظام(القذافي) !، اذ كان يتعامل مع القبائل بطريقة تشبه (العصا والجزرة)، فالقبائل الموالية أو المطيعة للنظام، كانت تحظى بمكانة ومتميزة ولها الامتيازات المادية والمعنوية الممنوحة لها، فضلا عن المناصب السياسية والأمنية في دوائر الدولة بينما تعامل عكس ذلك مع القبائل المعارضة وأصابها التهميش والحرمان من تلك الامتيازات والهدايا[1] مثال لذلك فقد اعتمد القذافي في تجنيد الضباط على ثلاث قبائل وهي (القذافة، والمقارحة، وورفلة) وكانت هذه القبائل الساندة لنظامه السياسي، أي إن القبائل التي كانت موالية للقذافي يعطي لها المال وفرص العمل، من اجل شراء وكسب ودها للوقوف في وجه أي معارضة داخلية لاسيما في الإقليمين الجنوبي والشرقي من ليبيا في الجانب الأخر كانت القبائل غير الموالية أو المعارضة للنظام تواجه (العقوبات والقمع والحرمان) من ابسط الحقوق السياسية والمدنية، وهذا يؤشر إلى أن فترة حكم الراحل معمر القذافي تشير إلى الحضور الكبير للفاعل أو العامل القبلي في سياسة توظيف القبائل في خدمة مصالحه الخاصة على حساب المصلحة الوطنية، وهو كان يعلم بثقافة القبيلة المرسخة فعمد على استغلالها لصالحه وإعادة إنتاجها، بشكل يحقق طموح استمراره بالحكم[2]. إزدهرت القبلية طوال حقبة القذافي التي أمتدت اكثر من أربعين عاما تحت عباءة نظامه السياسي الفاشي من خلال المؤتمرات الشعبية، واللجان الشعبية، ومن خلال عمليات التصعيد والاختيار الشعبي للقيادات. فقد انتشر في ليبيا إبان عهد القذافي عملية "الكولسة"، وهي التنسيق والتشاور والاتفاق بين القبائل لتسمية أمين مؤتمر أو شعبية (محافظة) في الخفاء. وهو ما يعني أن الفائز بالمنصب لن يكون من خارج القبيلة في أغلب الحالات.[3] عمل على تأسيس مؤسسة تعرف ب (القيادات الشعبية الاجتماعية) والتي تضم اغلب القيادات القبلية، والغرض من نشأة تلك المؤسسة هو لمراقبة أي معارضة كما أسلفنا، من اجل مواجهتها والغرض الرئيس هو محاولة اختراق القبائل الليبية، وكسب ولائها، أيضاً بأي ثمن، لأجل إفشال أي مخطط أو ظهور أصوات معارضة، تنادي بها القبائل أيضاً حصل إنشاء ما يسمى (بتنظيم الحرس الشعبي) والذي ضم كبار السن من القبائل المتطوعين لحمل السلاح، والدفاع عن النظام السياسي وقتئذ، مقابل الحصول على الامتيازات المادية. والمعنوية وكذلك فرض العقوبات على أفراد أي قبيلة تعارضه، وإبعاد أبناءها من مؤسسات الجيش والسلطة، مثال تم نفي العديد من أبناء (مدينة الوليد)عندما حاول أبنائها بحركة الانقلاب ضد القذافي في العام (1996) اثر تلك

2- المصدر نفسه، ص64.

3- المصدر نفسه، ص65.

1-تأثير القبلية على العملية السياسية في ليبيا: دراسة حالة لقبل و بعد ثورة فبراير 2011، نقلا عن شبكة الإنترنت الموقع:- https://www.afrigatenews.net

المحاولة قام القذافي بإعدام الجناة القائمين بتلك المحاولة عام 1997، الأمر الذي أنتج حالة من التوتر والنزاع بين نظام القذافي، وتلك القبيلة وتم حرمان وإبعاد أبناء تلك القبيلة من جميع مؤسسات ودوائر الدولة وهذا يؤشر إلى ان فترة حكم الراحل معمر القذافي تشير إلى الحضور الكبير للفاعل أو العامل القبلي في سياسة توظيف القبائل في خدمة مصالحه الخاصة على حساب المصلحة الوطنية، وهو كان يعلم بثقافة القبيلة المرسخة فعمد على استغلالها لصالحه وإعادة إنتاجها بشكل يحقق طموح استمراره بالحكم. وفقا لذلك لم يكتفي القذافي عند ذلك الحد، من استثمار القبائل، فقد اصدر ما يسمى ب (وثيقة الشرف) والتي صادق عليها مؤتمر الشعب في 1997، ووقعت عليها القبائل وتعهدوا بموجبها بتقديم الدفاع والولاء للنظام السياسي، ضد أي تهديد يشكل خطر لآمن، النظام وديمومته، فضلا عن الوقوف بوجه أي قبيلة تقوم باي معارضة، والتأكيد على أحقية هذا النظام بتطبيق العقوبات الجماعية [1] للقبائل المعارضة للنظام من خلال الحرمان من الخدمات الحكومية وإبعاد أبنائها من العاملين هذا السلوك قد أصبحت القبائل بموجبه وسيلة ناجحة للتوظيف السياسي اكثر من كونها تركيبة مجتمعية تسكن في ليبيا، أي القبيلة في فترة حكم القذافي تحولت إلى وسيلة يعتمد عليها الفرد للاحتماء من الدولة ووسيلة للدولة للاحتماء من الأفراد وهذا الحال بمجمله قد حول القبيلة إلى شريك، رسمي في العملية السياسية الليبية[2].

وقام القذافي باستخدام عائدات النفط الهائلة ـ والتي مثلت معظم أوجه الدخل للدولة الليبية منذ اكتشاف حقول النفط في نهاية الخمسينيات ـ في شراء ولاء القبائل من خلال توزيع بعض عوائد النفط مباشرة عليهم وعلى أعضاء قبيلتهم، وأيضاً من خلال توفير نظام دعم مالي ومادي يقوم بتوفير معظم متطلبات الحياة اليومية من غذاء ووقود وفرص تعليم وعمل بصورة شبه مجانية لجميع المواطنين. وعلى هذا الأساس استطاع القذافي طيلة عهده توظيف قبائل كبيرة وصغيرة في الشرق والغرب والجنوب حتى إنها تعهدت بالدفاع عنه إلى آخر لحظة في حكمة [3]. وتذكر بعض الكتابات خلال السنوات الأخيرة من عمر النظام السابق إلى اشمئزاز واضح من دور القبيلة في تجيير آليات النظام السياسي لصالحها، وذلك على حساب المواطنة والمساواة والكفاءة والإنصاف وغيرها من المعايير المدنية السامية التي اكتسحتها القبيلة، فالبعض على سبيل المثال، يرى أنه لابد من وضع حد للمحاصصة القبلية والولاء للنظام لصالح الكفاءة والمواطنة [4]، إن تراجع معدلات التحديث والتنمية لصالح شعارات تدعو للتقشف وتمجد القبيلة والبادية على حساب المواطنة والقانون والتحضر كانت مجرد شعارات واهية انتهى مفعولها، لقد تحول نظام القذافي إلى نظام متخشب لا يستجيب للمطالب الضرورية في الداخل أو للتحولات الحاصلة في العالم، وقد كان النظام مزهوا بقوته وسيطرته على الأوضاع في الداخل بعد أربعة عقود من الحرب على كل أنواع المعارضة التي ظن أنه أخرسها إلى الأبد، ولعله من المفارقات أن يكون الحراك القبلي الذي استقوى به النظام في السابق هو نفسه الذي ساهم في إسقاط نظامه، فبينما كان هذا النظام يقوم بمخاطبة القبائل واستنهاضها وتحشيدها للدفاع عنه ومواجهة "الغزو الصليبي" كما يسوق له كانت القبائل تصطف ضده على

2- ناظم نواف إبراهيم، المصدر السابق، ص64.
3- ناظم نواف إبراهيم، المصدر السابق65.
4- المصدر نفسه، ص1.
1-البشير علي الكوت، المصدر السابق، ص107.

الجانب الأخر المعارض، صحيح أنه لم يكن هناك شكل مؤسسي للقبائل ساهم في الإطاحة بنظام القذافي لكن الحراك المعارض له وبعد أن أعلن خروجه عليه احتمى بقواقعه القبلية، ففي الشرق قبائل برقة الكبيرة تناصر الثورة ضد النظام وفي الوسط قبائل مصراتة وفي الغرب قبائل الزاوية وفي الجبل قبائل الزنتان والرجبان وقبائل الأمازيغ، وبعض القبائل الأخرى كانت على الحياد أو منقسمة بين مؤيد ومعارض لاستمرار حكم القذافي[1]، وكان حتما أن تصل الأمور إلى درجة الانفجار في أول شرارة، ولم يعد مخاطبة القبائل للاصطفاف إلى جانبه مجديا فقد اكتشفت هذه القبائل أنه لا شيء جديد لدى النظام ليقدمه لها غير الوعود المفلسة، فكانت نهاية متوقعة لنظام لا يستجيب للتحولات والمطالب في البيئة المحلية المحيطة[2]

المطلب الثالث: ـدور القبيلة في الانتفاضة الليبية

The role of the tribe in the Libyan uprising

ساعدت تركيبة المجتمع الليبي القبلية على إنقاذ البلاد من التفكك الاجتماعي بعد انتفاضة شباط 2011[3]في ظل غياب مؤسسات الدولة وأجهزتها وانهيار النظام السياسي، فقد كان النسيج القبلي المتماسك الذي تسوده قيم التضامن الاجتماعي والقيم الدينية المعتدلة التي ترفض مختلف أشكال التفرقة والتشدد حصنا منيعا ضد تفكك المجتمع وانهياره وقد بدأت الإرهاصات الأولى للأزمة الليبية في منتصف كانون الثاني من العام 2011 تأثرا بالأحداث في تونس وكبديل لاحتواء بوادر الانتفاضة الشعبية منع القذافي التجمعات، وسعى إلى تخفيض أسعار المواد الغذائية، لكن دون جدوى إذ حدثت تظاهرة كبرى في بنغازي يوم 15 شباط 2011 وتدخلت على إثرها الشرطة وجرح أكثر من 38 شخص ولاسيما الشباب الذين نزلوا للتعبير عن احتجاجاتهم، وتواصلت الاحتجاجات دون سلاح، وفي 17 شباط واجهت الشرطة المتظاهرين بالنار برمي الرصاص على ركب المتظاهرين، فقط العديد من القتلى، وقد قدرت المنظمات الإنسانية أنه في بضعة أيام سقط على الأقل 300 قتيل[4].وقد فشلت أجهزة القذافي في قمع المظاهرات[5]، فحاولت دعاية

2- تشير المعلومات الليبية إلى أن الاستخبارات الإيطالية حذرت القذافي مبكرا من احتمالية الفوضى واحتمالية التدخل الدولي وكانت توقعاتها تشير إلى أن ليبيا ستكون بعد تونس مباشره وان جهات ليبية رصدت حراك غير طبيعي في تونس قبل الثورة التونسية بشهرين ما دفع القذافي للاستعجال في الحصول على معدات عسكريه خلال فترة قصيرة وقيام القذافي بأتخاذ قرار بإنشاء صندوق تنموي اجتماعي وقيامها بعمليات تحويل مالية كبيره تهدف الي معالجه الوضع الداخلي حيث سحبت ليبيا ما لا يقل عن 100 مليار دولار من أرصدتها الخارجية. وفي الوقت ذاته بدأت الاستخبارات الليبية بدعوة بعض الميليشيات الأفريقية وفصائل من المقاومة في الصومال و اطلقت العديد من أعضاء تنظيم القاعدة وسمحت لبعضهم بدخول ليبيا فيما اشرف القذافي على عقد تحالفات قبليه مع قبائل أفريقية ومع الطوارق وبعض الجماعات السلفية المقاتلة في الجزائر و جرى التفاهم معها على تسليم السلطة في المناطق التي تحدث فيها أعمال شغب وطلب من وحدات الجيش الليبي في المنطقة الشرقية ترك مواقعها والاستعداد للمعركة الكبرى، للمزيد من المعلومات ينظر باولو باقانيني نيقولا ستاريكوف، تاريخ ليبيا من عمر المختار إلى معمر القذافي، القاهرة، كنوز للنشر والتوزيع، 2012،ص286-287.

3-المصدر نفسه، ص108.

4- إن ما حدث في أوائل عام 2011 من انتفاضه شعبيه كان بدافع التخلص من الاستبداد والظلم والمطالبة بسياده العدل والديمقراطية وحقوق الأنسان، للمزيد ينظر: ـمحمد خليفة إدريس، ليبيا والحياد الدولي الأطر الإعلامية للأخبار وتحليلها، مصر، العربي للنشر والتوزيع، 2020، ص82.

1-خلايف سفيان، دور القبيلة في العملية السياسية في ليبيا بعد 2011، رسالة ماجستير غير منشورة جامعه العربي التبسي، تبسه، كليه الحقوق والعلوم السياسية،2021، ص40.

2- حصر اكثر من مفكر وباحث عربي الأسباب التي أدت في نهاية العام 2010 ومطلع العام 2011 إلى خروج الجماهير العربية إلى الشارع في مظهر احتجاجي مثل انفجارا لم يشهده الشارع العربي منذ زمن سارع محمد حسنين هيكل إلى وصف ما حدث بانه عمل خارجي تقف وراءه الدول العظمى بهدف أعاده رسم خارطة الشرق الأوسط

النظام إعطاء الحركة صيغة الانفصالية مستغلة بذلك الانقسام التقليدي في ليبيا بين الشرق والغرب، في محاولة حشد الغرب ضد الشرق، مع ذلك أضعف انضمام سكان المناطق الغربية في الزنتان وانضمام سكان المدن الساحلية مثل: مصراتة والزاوية إلى الاحتجاجات الأساس المنطقي لادعاءات النظام .كان حجم المشاركة في الانتفاضة كبيراً إلى درجة عجزت أجهزة الأمن عن مواجهتها ففتح القذافي سجون منطقة بنغازي كلها وأخرج مجرميها وأصحاب السوابق ووزع عليهم السلاح ومنح كل واحد منهم مبلغ 5000 دينار كما قام أحد رجاله بتوزيع سيارات لتفريق المتظاهرين. ثم تصاعدت الاحتجاجات بين صفوف المتظاهرين وقابلوا عنف النظام بالعنف فأحرق المتظاهرون الغاضبون من رد فعل قوات الأمن العنيف والخسائر التي تكبدوها، مراكز الشرطة مرددين عبارة " يسقط النظام " وهتافات تطالب برحيل النظام وإقامة نظام ديمقراطي. وخلال ثلاثة إلى أربعة أيام كانت جميع المدن من بنغازي إلى الحدود المصرية شرقا قد أصبحت في يد المنتفضين ثم خرجت مظاهرات في طرابلس تاجوراء والزاوية وثالوث، ونتيجة للصدام بين كتائب النظام والمنتفضين تحولت المظاهرات والاحتجاجات إلى نزاع مسلح بين الشرق والغرب [1]. وظل الاستقطاب السياسي للمعطى القبلي منذ اندلاع ثورة 17 شباط، عنصرا فاعلا متأثرا بما فرضته فترة ما بعد الاستقلال وبعد انقلاب عام 1969 في علاقة الدولة بالمجتمع الليبي، وبمقدار ما تنهض المشاعر الوطنية وتتوحد المطالب الشعبية في خضم ثورة متأثرة بمحيطها الإقليمي، نلمس بعض الحضور لهذا المعطى وتدخلاته السياسية، وهو حضور نلمسه لدى النظام أكثر مما نلمسه لدى المعارضة، وهذا الأمر طبيعي لان خاصية التوظيف السياسي للبنى التقليدية ظلت متلازمة لطبيعة سياسات النظام خلال مرحلة حكمه .وتجلى هذا الاستقطاب من خلال استنزاف الرصيد القبلي إعلاميا وعسكريا وسياسيا لتحريك المدن، فانطوى خطاب الأعلام الرسمي خلال الثورة على دعوة صريحة إلى هذا الاتجاه معتمدا على إثارة النعرات، وعلى عد الثائرين على النظام " مجموعة إرهابية ومتواطئة تهدد استقرار ليبيا". كما تندرج في هذا الاتجاه ظاهرة " المؤتمرات القبلية " التي كانت تعد دوريا وتصدر بيانات الموالاة وإشارات التأييد ورفض الاصطفاف وراء الثوار متوسلة عدة ذرائع، أهمها رفض التدخل الغربي [2]، ولعل في هذا التوجه ما يدفع إلى تحليل استراتيجيات الحشد السياسي لدعم الدولة، بالاستناد للبعد الديني، الذي يمثل نقطة حمراء لدى الشعب الليبي، يسعى النظام من خلالها إلى إحراج خصومه وجيرانه .كما ينسحب التوظيف السياسي للمعطى القبلي على علاقات النظام بالخارج، وبخاصة المحيط الأفريقي حيث أدت عمليات التجنيد الواسع وحشد

وبعبارة أخرى نسخه جديدة من سايكس بيكو و حدد خير الدين حسيب أربعة عناصر عدها أساسية لضمان انطلاق الانتفاضة في المقام الأول ثم يحتمل نجاحها أو فشلها وهذه العناصر هي كسر حاجز الخوف السيكولوجي سلمية الطابع، حد ادنى من التماسك الاجتماعي ومشاعر مشتركة للوحدة الوطنية، موقف الجيش أو القوات المسلحة من التمرد الشعبي المدني. وفي رأي حسيب، بالنسبة إلى انتفاضات الربيع العربي التي حدثت كلها توافرت العوامل الأربعة في حالتي تونس ومصر فحسب، لذلك حققت الانتفاضتان نتائج إيجابية، وفي رايه أيضاً، لم يتوفر للانتفاضة الليبية سوى عامل واحد وهو العامل الأول لذلك عانت الانتفاضة الليبية مشكلات معقدة ولم يستطع الثوار الليبيون تحقيق الهدف رقم واحد إلا بتدخل اجنبي مسلح، للمزيد من المعلومات انظر، مصطفى عمر التير، الثورة الليبية مساهمة في تحليل جذور الصراع وتداعياته، قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020،ص 31 -32.

3- خلايف سفيان، المصدرالسابق، ص40-41

1-نبيل بوغازي، القبيلة وتحديات بناء الدولة في ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جـامعة 08 مـــاي 1945، كلية الحقوق والعلوم السياسة،2020، ص61.

مواقف الدعم إلى تحريك رصيد علاقات النظام القائمة على ما يمكن تسميته "سوق المواقف السياسية" التي أصبحت تتوازى عسكريا مع عمليات حشد المقاتلين المرتزقة.[1]

المطلب الرابع: -دور القبيلة بعد أحداث شباط 2011

The role of the tribe after the events of February 2011

أدت أحداث شباط 2011 وسقوط نظام القذافي إلى فراغ كبير على الصعيد السياسي، وهو فراغ كان يشغله ديكتاتور استطاع أن يجمع خيوط اللعبة السياسية في يديه على مدى أكثر من أربعة عقود من التمدد والتمادي، وكانت القبيلة خيط من الخيوط التي يتلاعب بها، أما وقد انهار هذا النظام فقد كان الفراغ شاملا ، فلا دستور يمكن الاحتكام إليه ولا تقاليد أو مؤسسات سياسية أو عسكرية أو أمنية أو بيروقراطية قادرة على السيطرة على الاوضاع، القبيلة لم تكن قادرة على لعب دور اجتماعي أو سياسي فاعل لاسيما بعد القضاء على زعاماتها التقليدية منذ أمد طويل، كانت القبيلة في كل تاريخ ليبيا السابق. تلعب دورا مسانداً أو ثانوياً لاسيما على الصعيد السياسي وهي مازالت كذلك تقريباً[2].

لم تتغير الأوضاع بعد فبراير/شباط،2011 بعض القبائل تخندقت وراء ميليشياتها ومجموعاتها المسلحة لتحقيق مصالحها، وبعض الأفراد احتموا بقبائلهم لتحقيق منافع شخصية، بعض القبائل دخلت في حروب مع قبائل أخرى لاسيما في غرب وجنوب ليبيا لأسباب غير مهمة في الغالب، ومنها على سبيل المثال الحرب بين قبائل الزنتان والمشاشية في جبل نفوسه، والحرب بين قبائل أولاد سليمان والقذاذفة في فزان، واقتحام ورشفانة عام 2014 من قبل تيار فجر ليبيا الذي ضم جماعات ينتمون لعدة مدن وقبائل أبرزها الزاوية، وهو ما خلف عداوة شديدة بين قبائل ورشفانة وقبائل الزاوية المتجاورة[3].

وفي اطار الانفلات الأمني في الجنوب تحولت مدينه اوباري الواقعة في جنوب غرب ليبيا إلى ساحة للحرب بين قبائل التبو والطوارق من اجل السيطرة على طرق التهريب وبيع النفط بطريقه غير رسميه والأشراف حقول النفط، يعد التبول اقليه في مدينه اوباري مقارنه بالطوارق الذين يشكلون الأغلبية هناك بعد سقوط نظام معمر القذافي استطاعت قبيلة التبو من توسيع نفوذها على حساب غريمتها قبيلة الطوارق وذلك بعد ان تحالفت مع ميليشيات الزنتان (المكون أساسي في قوات كرامه ليبيا التابعة لـ خليفة حفتر)[4]، فسيطروا على حقل الشرارة النفطي وتمكنوا من التحكم في طرق التهريب هناك. وقد برزت ردة فعل الطوارق في العام 2014 عندما تحالفت مع ميليشيات مصراته (القوة

2-المصدر نفسه، ص62.

3-البشير علي الكوت، المصدر السابق،ص108.

4- المصدر نفسه، ص108-109.

[1]- خليفه حفتر:- هو خليفه بلقاسم حفتر ولد عام 1943 في مدينه اجدابيا الواقعة في شرق ليبيا، التحق بالكلية العسكرية الملكية في بنغازي وتخرج منها في العام 1964 متخصصا في سلاح المدفعية كان احد الضباط الذين شاركوا مع القذافي في الإطاحة بالنظام الملكي عام 1969 انقلب بعد ذلك على القذافي أيام الحرب الليبية التشادية عندما وقع في الآسر عام 1987 ليغادر بعدها إلى الولايات المتحدة الامريكيه اعلن بعد ذلك (تأسيس الجيش الوطني) الليبي كجناح عسكري معارض للقذافي يعمل في الخارج، ونظم في العام 1993 محاولة للإطاحة بالقذافي بائت بالفشل عاد إلى ليبيا في أذار 2011 بعد ان تم استدعائه من قبل المعارضة الليبية، ذلك لقيادة القوات المسلحة التي انشقت عن القذافي، للمزيد ينظر:- عبد الله ناهض عباس تدخل حلف شمال الأطلسي في ليبيا الأهداف والتداعيات، عمان، دار امجد للنشر والتوزيع، 2019،ص 142.

الأساسية في قوات فجر ليبيا) [1] لتدخل في صراع مسلح مع منافستها. نتج عن هذا الصراع العديد من القتلى والنازحين، كما أدى إلى وقف إمدادات النفط الأتية من حقل الشرارة. وفي العام 2015 تم التوصل إلى اتفاق سلام بين الطرفين برعاية دوله قطر، لكنه يبقى اتفاقا هشا بسبب استمرار العوامل نفسها المحركة للاقتتال بين الطرفين [2].

وفي شرق ليبيا لم نشهد حرب قبلية محددة الأطراف كما هو عليه الحال في غرب ليبيا وجنوبها، ويعود ذلك ربما لأكثر من سبب، وأولها هو انهيار النظام في الأيام الأولى من انتفاضة فبراير 2011 وزوال نفوذه مما أتاح لقبائل المنطقة البعيدة عن مركز تواجد النظام في طرابلس وتأسيسها لسلطتها المحليةً الخاصة بها والتي أصبحت نواة سلطة لليبيا بكاملها لاحقا، من ناحية أخرى مازالت القبيلة وزعاماتها فيً برقة أكثر تماسكا وتحظى بتأثير اجتماعي على أفرادها، ولذا لم نشهد حروب قبلية في الشرق كماً هو عليه الحال في الغرب والجنوب[3]. وهكذا ظهرت بعد فبراير/شباط 2011 تحولات جديدة في علاقات التحالف القبلي تشبه الصفوف القبلية وهي ما يمكن أن نطلق عليه "التحالف القبلي المناطقي"، وفي هذا السياق نشير إلى تحالف قبائل برقة، وتحالف قبائل مصراتة، وتحالف قبائل الزاوية، وتحالف القبائل الأمازيغية، ورغم ذلك لا يبدو محتوى المشهد لهذه الظاهرة الجديدة بهذه البساطة، فليست قبائل برقة أو مصراتة أو الزاوية أو غيرها وحدة متجانسة لقبائلها، ففي تفاصيل المشهد التحالفي يوجد تنافر قبلي، وقبول على مضض بالأخر بدافع المصالح المشتركة من ناحية أخرى لا يبدو المشهد ورديا، ولا تبدو سطوة القبيلة على أفرادها بهذه القوة والتأثير، صحيح أن المجتمع الليبي ليس مجتمعا مدنيا لكنه في المقابل ليس مجتمعا قبليا بالمطلق، لان القبيلة ليست مؤسسة، ويبدو أن قوة تأثيرها تعود إلى كونها الكتلة التي يلجأ إليها الفرد لحماية نفسه وتحقيق مصالحة[4].

الخاتمة: Conclusion

نلحظ مما سبق أن المجتمع الليبي عرف بالتنوع القبلي، فقد مارست القبيلة فيه دورا كبيرا في مواجهة الاستعمار الإيطالي، فضلاً عن دورها الفاعل في العملية السياسي وفي عملية صنع القرار السياسي والاجتماعي وحتى الأمني، إذ تمتلك القبيلة نفوذا واسعا ومؤثر في المشهد السياسي الليبي مما أعطاها مكانة مهمة في مختلف العهود التي حكمت ليبيا ومنها العهد الملكي الذي منح القبيلة مكانة مهم سواء في العملية السياسية أو من خلال منحها العديد من الامتيازات والمناصب العليا في الدولة، إلا أن دورها اخذ بالتراجع في عهد الرئيس الليبي معمر القذافي وذلك كون أغلبية القبائل الليبية كانت تدين بالولاء للنظام الملكي، إلى جانب تراجع دور قبيلته قبيلة القذاذفة قبالة سطوة بقية القبائل الليبية. إلا أن سياسته تلك أخذت بالتراجع اتجاه القبائل نتيجة فاعلية دورها وقدرتها على التأثير في الشارع الليبي واخذ بمنحها الامتيازات والمناصب هو الأخر بعد توقيعها على وثيقة الشرف التي تدين فيها بالولاء للرئيس الليبي معمر القذافي. وبعد أحداث فبراير عام

2- فجر ليبيا: - اسم عملية عسكرية موحد أطلق على مجموعه من الكتائب العسكرية المناهضة لحفتر وتضم غرفه عمليات الثوار- مرتبطه بمصراته- وتعد اقوى الجماعات المسلحة الموجودة في ليبيا، وغرفه عمليات الثوار-فرع بنغازي- من لواء ثوره 17 فبراير، وكتيبه عبد الله السحاتي، ولواء الشهيد عمر المختار، ولواء شهداء ليبيا الأحرار. تتبع هذه الكتائب إلى قوة درع ليبيا التابعة لوزاره الدفاع في حكومة الإنقاذ، دون ان يكون هنالك سيطرة من قبل وزاره الدفاع. للمزيد ينظر: عبد الله ناهض عباس، المصدر نفسه، ص 142.

3- صادق حجاج، ليبيا وإشكاليه بناء الدولة - الأمة 1951- 2017، عمان، مركز الكتاب الاكاديمي، 2017،ص 129.

4- المصدر نفسه، ص109.

1-المصدر نفسه، ص110.

2011 وسقوط نظام القذافي نرى أن القبيلة كانت حاضرة أيضاً سواء في قيادة الانتفاضة ضد العقيد معمر القذافي أو من خلال تخندقها وراء ميليشياتها ومجموعاتها المسلحة لتحقيق مصالحها، ومنافعها الشخصية، مما دفع البعض منها لخوض الحروب ضد بعضها البعض بهدف الحصول على المناصب العليا في الدولة. وبالرغم مما تشهد ليبيا من صراعات سياسية وقبلية إلا أننا نجد أن دور القبيلة مهم في حفظ السلم الاجتماعي في المرحلة الراهنة لاسيما في ظل الانفلات الأمني وانتشار السلاح وغياب القبضة الأمنية القوية للدولة، فضلاً عن ضرورة الاصطفاف بين القبائل وتوحيد كلمتها لخدمة الشعب الليبي اجمع وضرورة تغليب المصلحة العامة على الخلافات الجانبية والتفكير في الحلول الليبية – الليبية. ولاسيما أن القبيلة قادرة على الفتك بالدولة متى مارست دورا سياسيا يقدم المصالح القبلية على المصالح العليا للدولة.

المصادرSources

أولاً: -الكتب

1-ايناس مرشد، رسائل عمر المختار وادريس السنوسي: سنوات اللجوء والمقاومة، القاهرة، كنور للنشر والتوزيع،2020.

2-باولو باقانيني نيقولا ستاريكوف، تاريخ ليبيا من عمر المختار إلى معمر القذافي، القاهره، كنوز للنشر والتوزيع، 2012.

3- سهام الدريسي، مأزق الانتقال السياسي في ليبيا، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات،2018.

4-صادق حجاج، ليبيا وإشكالية بناء الدولة - الأمة 1951- 2017، عمان، مركز الكتاب الأكاديمي، 2017.

5-عادل عبد الحفيظ كندير، العملية السياسية في ليبيا في ضوء قرارات مجلس الأمن، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 511، 2021.

6-عبد الله ناهض عباس تدخل حلف شمال الأطلسي في ليبيا الأهداف والتداعيات، عمان، دار أمجد للنشر والتوزيع، 2019.

7-مصطفى عمر التير، الثورة الليبية: مساهمة في تحليل جذور الصراع وتداعياته، قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2020.

8-محمد خليفة ادريس، ليبيا والحياد الدولي الأطر الإعلامية للأخبار وتحليلها، مصر، العربي للنشر والتوزيع، 2020

ثانيا: -الأطاريح الجامعية

1-بلال اوصيف، الصراع القبلي وإشكالية بناء الدولة في ليبيا بعد 2011، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامع' محمد بوضياف، كليه الحقوق والعلوم السياسية،2021.

2- خلايف سفيان، دور القبيلة في العملية السياسية في ليبيا بعد 2011، رسالة ماجستير غير منشورة جامعه العربي التبسي، تبسه، كليه الحقوق والعلوم السياسية،2021.

3- نبيل بوغازي، القبيلة وتحديات بناء الدولة في ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جـامعة 08 مـــاي 1945، كلية الحقوق والعلوم السياسة،2020.

ثالثا: -الدوريات

1-البشير علي الكوت، الدور السياسي للقبيلة في ليبيا، مجلة العلوم القانونية والسياسية، الجزائر، العدد17، 2018.

2- ناظم نواف إبراهيم، التفاعلات القبلية وأثرها في الحياة السياسية الليبية قبل وبعد 2011، المجلة السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، العدد45، 2020.

رابعا: -الإنترنت

1=تأثير القبلية على العملية السياسية في ليبيا: دراسة حالة لقبل وبعد ثورة فبراير 2011 ، نقلاً عن شبكة الإنترنت الموقع: -https://www.afrigatenews.net/article

2-تأثير القبلية على العملية السياسية في ليبيا: دراسة حالة لقبل و بعد ثورة فبراير 2011، نقلا عن شبكة الإنترنت الموقع: -https://www.afrigatenews.net

3- خريطة توزيع القبائل في ليبيا، نقلاً عن شبكة الإنترنت الموقع:- https://www.fekera.com/

The Tribe And Its Political Role In Libya

Prof. Dr. Muna Hussein Obaid
Center for Strategic and International Studies/University of Baghdad
Mona.obaid@cis.uobaghdad.edu.iq

Abstract:

Libya is one of the countries characterized by tribal diversity, as it exercises an active role in the political process and in political decision-making because it is capable of embracing individuals and controlling their political paths. Perhaps this is what made it receive attention from the monarchy, which relied greatly on the tribe in managing the affairs of the state and granting many of them privileges and high positions in the state. However, their negative use during the era of Muammar Gathafi as a basis for continuing rule and gaining loyalty to AL- Gathafi was the reason for not forming an institutional state, even the influence of the tribe was negatively reflected after the February 2011 revolution, on the political situation in Libya, as tribal conflicts led to divisions between the Libyan tribes, specifically between the tribes of the East and the West, which had an impact in determining the form and path of the Libyan state.

Keywords: tribe, tribal diversity, monarchy, uprising, political process.